اعاجيب النقد الحديث

نظرة في « ادب » جرائدنا البيروتية

لا تخلو جريدة بيروتية من « صفحة ادب » او « زاوية ادب » عوّدتنا قراءها مرّة او مرّتين اوثلاث مرّات في الاسبوع ، فقلنا : لقد اصلح الادب في جرائدنا ما افسدته السياسة . ولكن سرعان ما تحققنا انتصار السياسة على الادب ، اذ ادخلت هذه فسادها فانتقلت النعمة المرتجاة منه . مصيبة دهماء على الادب الصحيح وانصاره . ومن مصائب الادب الجرنالي الحديث هذا الاسلوب النقدي الذي تطوّر على صفحات الجرائد وغدا وازدهر في كتابين صغيرين : « انتم الشعراء » ، و « اجل نحن الشعراء » .

ولا ادري امصيبتنا « بانتم الشعراء »[1] ام « باجل نحن الشعراء »[2] هي اكبر ؟ وذلك لانني لا ادري من يكون اوفر مسؤولية أهو مختط الطريق ام متبعه عليها .

لقد اسفنا قبل كل شيء للريحاني يهبط من مستوى « ملوك العرب » و« تاريخ نجد الحديث » الى مستوى « انتم الشعراء » ، الى هذه الدركة من المغالطة والابتذال . ولقد كان من المحتمل التغاضي عن « انتم الشعراء » لولا ما احدثه من نتائج سيئة في الاسلوب النقدي في لبناننا هذا الصغير .

ما كاد هذا الكتيّب يصدر من عن الآلة الطابعة حتى تناولته ايدي المتشوّقين ، وعلت من كل فجّ وصوب اصوات الاستحسان والاستهجان . لقد انشأ مناصرو الريحاني ومريدو افكاره مقالات كانها مقالات « انتم الشعراء » بروحها واسلوبها ؛ واصدر معاكسوه ومقبّحو آرائه مقالات ومؤلفات كانها « انتم

---

١) « أنتم الشعراء » بقلم امين الريحاني — ٩٢ ص . متوسطة صغيرة ، مطبعة الكشّاف ، بيروت ١٩٣٣

٢) « اجل نحن الشعراء » بقلم ا . ا . معوّض ، طانيوس نصه ، مسجر معوّض — ١٢٢ ص . بالحجم نفسه ، مطبعة خليفه اخوان ، بيروت ١٩٣٣

الشعراء » بعينه . وما كان وقت طويل الا رأينا هذا الكتاب الواحد الف كتاب وكتاب . فما الخبر ؟ وما هذه الاعجوبة ؟ . . . ذلك ان « انتم الشعراء » احدث اسلوباً ، في النقد ، جديداً او قل عاون على تكوين اسلوب نقد كان لم يزل غامضاً بعد .

أما صفات هذا الاسلوب الجديد فالسباب والشتائم ، والتهكم المستهجن ، والفكاهات المزعجة ، والتضليل . واما صفات اربابه فالتضخم ، والغرور ، والادعاء والاعلان .

قلنا ان السباب والشتائم هي من صفات هذا الاسلوب ، وان ترفعنا عن ذكر ما سفل منها وانحط مراعاةً لحرمة القراء الكرام ، فلا يسعنا العبور دون ايراد مثل او اثنين للاستشهاد . وهي ، والحق يقال ، قليلة في كتاب الريحاني ، على كونها من الصنف الثاني عنده ، ولكنه ليس بريئاً منها كما يشهد عليه قوله[1] : « والمتنبي سيّد الكذّابين لانه لم يشب في سن العشرين وكان في الارض من المتكبرين . » وتريد شيئاً فشيئاً في ابناء مدرسته النقدية فتراها مع منتقدي « انتم الشعراء » على نحو هذا[2] : « اين كان فيلسوفنا صاحب الريحانيات عندما كان الانحطل الصغير يستنهض الهمم للذود عن حقوق الوطن . . . وماذا كان يعمل في الصحراء وفي وطن العم سام ذو الوجهين واللسانين »

ونحجم عن ذكر ما جاء في « صوت الاحرار » البيروتية فيما يخص الاب لويس شيخو اليسوعي حيث لم يراعِ الشاتم في الاب شيخو حرمة ما من حرمات الدين والعلم والكبر التي اتصف بها هذا الاديب الكاهن

اما التهكم المستهجن والفكاهات المزعجة فجميعها على مثال : « اجل ان الطبيعة نفسها لتبكي معهم — اي مع الشعراء — فهناك الحمام النوّاح . . . والخرفان الحزينة المعدّة للذبح وهي انصار الشعراء بالبكاء . »[3] وهذا : « واما انت يا فيلسوف الفريكه بافه عليك تقدم الينا مسرعاً فان تجر الدموع اوشك ان يغرقنا في لجة العميقة »[4] .

١) انتم الشعراء : ص ٦٥ ٢) اجل نحن الشعراء : ص ٤٥
٣) انتم الشعراء : ص ٦٤ ٤) اجل نحن الشعراء : ص ١٠٦

هذا وان قلنا ان احدى صفات النقد الحديث التضليل فاياه نعني لا سواه. ان هذه الصفة مجتمة في مؤلفات « الامام » الريحاني ولها عنده مجال عديدة فتارةً ترى تضليله اجتماعياً وذلك حين يقول : « اننا والحق يقال اكثر بكاء ولشد انتحاباً من جميع الشعوب . . . انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا . . . بل هو الوباء الاخبث . فتراه يفتك بالسياسيين ورؤساء الدين كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين، هو وباء الدموع وباء النحيب والنواح.»[1] وتارةً ترى تضليله ادبياً كتجعل رجالات الادب العظام ما ليس لهم مما يصلح لغاية الناقد، او كذكر كلامهم دون الاشارة الى مصدره ، او الاشارة الى ذلك المصدر بقول مبهم غامض يزيد في تضليله الاول تضليلاً جديداً.

وذلك حين يقول[2] : « قال سنت بوف ما معناه » — ويذكر هنا الريحاني حديثاً طويلاً لسنت بوف عن موسه — وفي الختام يشير الى المصدر قائلاً : « راجع مقالاً لسنت بوف في الفرد ده موسّه »[3] او يقول :[4] « وقد قال النقادة الاكبر تان . . . وعندما ذكر المصدر قال : « في كتاب تاريخ الاداب الانكليزية ».

ولم يتفرّد الريحاني في التضليل هذا بل اتبعه عليه بعض افراد من مدرسته ليسوا بالقليلين. وقد برّه في هذا المضمار « عمر فرّوخ » وخاصة في تحامله على الاب شيخو[5].

هذه هي بعض صفات النقد الحديث الذي ساعد في تكوينه مساعدة تذكر الريحاني في « انتم الشعراء » . ولا يسعني الاتيان على جميع ما فيه لان هذا الاسلوب لم يزل في طور تطوّر وانقلاب.

اما صفات اربابه فاولاها التخمين والتقدير كما قلنا. اجل ان الناقد البيروتي الحالي مخمّن ، بل نبي ، قبل كل شيء ، ولكنه مخمّن على طريقة له حديثة ايضاً فهو لا يحتاج الى سابق علم ودراسة لاطلاق احكامه الادبية.

فما اسرعه قائلاً دون تردّد او تحفّظ : « لا اظنك تجد من الدموع في

---

١) انتم الشعراء : ص ٦ ٢) انتم الشعراء : ص ٦٩ السطر الثاني عشر
٣) انتم الشعراء : ص ٧٠ السطر الاخير ٤) انتم الشعراء : ص ٧١
٥) اطلب البشير المجلد ٤٦٤٦، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣

شعر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي . ولا اظنني في ما اقول مبالغاً »[1] .

لم يكلف الريحاني نفسه الم البحث والتنقيب عما في شعرنا من « الشعر الباكي » — كما يقول — وعما في شعر الاوربيين منه ، بل اطلق حكمه هذا على سبيل التخمين فجاء تخمينه مخالفاً للواقع ، ويا للاسف ! ومثل هذا التخمين كثير في « اجل نحن الشعراء » وغيره من المقالات الانتقادية الحديثة . ولا يخفى ان سبب ذلك حب الكسل والتضليل ، وكره الحقيقة العلمية والامانة الادبية . وكل هذا لما يحط من قدر الاديب الناقد ويؤذيه بسمعته وشهرته .

لم يتفرد نقدتنا اليوم بالتخمين ، بل ضموا اليه الغرور والادعاء والاعلان . وليس الغرور والادعاء باقل من التخمين عند هؤلاء النقدة . . . فالكل عندنا امام . . . والكل ثقة . . . والجميع لا يشق لهم غبار في مجالات القلم ، فمن اعلان عمر فروخ « تمزيق الاب شيخو وتركه لتمزيق غيره من الادباء » ، الى اقدام ابي شبكه على « وضع التوراة في الميزان » الى . . . الى . . . ترى الغرور والادعاء متجليين باجلى مظاهرهما .

وما الاعلان الا نتيجة الادعاء والغرور . . . انا . . . انا . . . فلكل ناقد حديث عندنا خطة يتلوها على رؤوس الملأ . وكل من نقدتنا مجدد . . . محدث . . . وكلهم الهادم الباني . . . المصلح . وخير مظهر للتثبت من حب الاعلان عند هؤلاء عناوين مقالاتهم . ونظرة واحدة الى « صفحات الادب » في جرائدنا تبين ان معظم نقادنا من اصحاب « الاعلانات » ، ليس غير .

يجرنا هذا الى الاستنتاج ، بكل أسف ، ان اكثرهم نسوا اساليب النقد الفني ، وآثروا عليها الشتائم والتباب ، واخذوا في سباق ليس له مثيل في طبقة من الشعب تضن بسمعتها الادبية ان تبتذل . . فتعقلوا يا معشر الادباء !

ا . ج .

---

١) انتم الشعراء : ص ٦٣